مفكرة

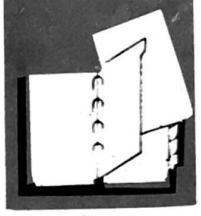

أوراق للحرب والضجر

١ ــ امتص احشاء لفافتي ، واناجي وردة الحلم ..
وردة الحلم ليست امراة كما قد يخيل لكم ــ انها مدينة تعرفونها ، وتجهلونها ايضا !.
ليست ابنية وشوارع تضج بها عربات امراء النفط ــ انها قلب ينز دما .
بين اصابعها خواتم الغزاة ، افرد شعرها بين اناملي .
واتابع الحلم :
في قمة الجبل اعري امراة في الليل ، نحرق القرآن والانجيل والتوراة ، وكتب الباطن والظاهر .. ، نجرع العرق ، ونرقص حول النار ، ونذرو رماد السرطان في الريح !.
اهب في شوارع مدينة القلق ابتسامة ينخر اليأس خضرتها ، ومظلتي تقاوم المطر المسلح بالرياح ، تبرق السماء ، وتغتصب الطفولة لان الحرب حصدت راس امها ، وتنتسب عيناي للينابيع !.
يدي لم تومىء للشمس ، لانه موسم الليل والشتاء .. ، وابتسامتي لا جذر لها في القلب .. ، وتذبل اللفافة منتحية قبرها ..
قالت الشجرة : مر بي شارع بين عينيه تقطيبة الخجل .
قالت « الشياح » : قرفت الجثث .. اين اشعة الشمس؟.
قالت الارض : سئمت نفسي قبرا ، اين قبري ؟.
ولم تهمس العصافير ، لانها مشنوقة من حناجرها بأغصان اعمدة الهواتف .
قال الجفاف : لا خريف لي .. ،
وقالت الامطار : اضعت لوني .. ،
والمقاتلون لا السنة لهم ، لقد لجمت افواههم بالبنادق ..
قال العاشق : من قتل حبيبتي ؟
قالت العاشقة : من قتل حبيبي ؟
وانا اكتب ضجرا ، وليس عندي ما يقال !.

★ ★ ★

٢ ــ لن اقرا الآن ، سأكتب .
فاضت الذاكرة :
قال محمد : احمله كالصليب في شوارع الكبت .
تمتم سيف : علي ان ابني حزبا ثوريا .
لهج امير : اغتصبت عذريتي بين المتاريس .
قال حيدر : المدينة تحترق .. لست حطبا .
همهم ابو توفيق : فرغت زجاجة النبيذ .. ،
قال شريف : فليذهب العالم الى الجحيم .. ،
حدق نديم : انفجر البكاء من قلب امك ، وعيني ..
وقبل ان افتح فمي ، دوى انفجار بعثر الصمت على جدران الغرفة .

★ ★ ★

٣ ــ عانق لهب الكبريت فم اللفافة ..
حنان تبرز مفاتنها □ ايمان تقنع نفسها بالتصوف ، والاكتفاء ذاتيا □ يسرى تنتظر المنقذ الذي لم يأت ثائرة تفتش عن اسرة رجال السياسة الشاغرة □ فريال تمشط شعرها ، وتحلم بالبلوغ ..
وقبل ان تنفجر القهقهة في حلقي ، اختنقت بذكرى موعد غرامي !.

★ ★ ★

٤ ــ نامت المدينة ، وذاكرتي تنبع :
فايز خضور : فان جوخ بتر اذنه ، ابراهيم زاير : لماذا انتحر مايا كوفسكي ؟ ،
هتلر : عزيزي الشيخ بيير نحن بخير ! طمنونا عنكم ،
جين فوندا : كان حلما مزعجا ! لقد زرت مكة ، عبد الستار الناصر : ما زال زهير غانم نائما في زنزانته ،
محمد الماغوط : عزرا باوند كان نازيا ..
بعد ان مضغت لقمة الخبز والسردين ، ابتدات حرائق التبغ ــ
سأكتب حتى الصباح !.

★ ★ ★

٥ ــ ناتالي ساروت ، تنهض من قبرها ، وتتجول في عين الرمانة ، وقبل ان تسجل اولى قصصها القصيرة جدا ، تزيحها رصاصة قناص الى حفرة في جسد الشياح .

★ ★ ★

٦ ــ هالوركا بربابته ، يغني على ايقاع الرصاص ، ويبتسم لبنادق الاطفال الخشبية .. وقبل ان اردد وراءه كلمات الاغنية .. انقطع وتر في حنجرتي .

★ ★ ★

٧ ــ البلابل استحالت قنابل انهمرت فوق الاشرفية ، وقطعان الفيلة استحالت ملالات دمرت في القنطاري ..
وفي « كفر شوبا » ، ينزف جسد ابي ذر وعيسى بن مريم !.

★ ★ ★

٨ ــ يطلعون من البحر بنادق وازهارا ، ومن البيوت وبين الاشجار تخرج البنات مزينات بالاصباغ ..
عادوا من الحرب مسربلين بالانتصار الواقف مذهولا على بوابات المدينة المنهوبة .. كان حلما ، ولا تفسير له .

★ ★ ★

٩ ــ خبأت في ذاكرتي طائر المستقبل ، واطلقت من حنجرتي نعيق البوم .. لان الرصاص غبي يهمه القتل وحسب .

★ ★ ★

١٠ ــ دقات الساعة تعلن تمام السابعة صباحا ، وكالعادة ، ينهض العامل والموظف والتاجر ، وقد تشرق الشمس على المدينة ، وقد يكون يوما ممطرا ويظل الاطفال فرحين، او مذعورين من النوافذ او الشرفات .. ، وقد اصل الى المطبعة سالما، فالحركة بدات تدب حذرة في الشوارع ..، لانك لا تضمن جسدك من رصاصة طائشة ، او شظايا صاروخ يمد يده قائلا : صباح الخير !.

هادي دانيال